الدرس (٠٢٧) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد وصلنا في قراءتنا في هذا الكتاب المبارك كتاب رياض الصالحين للنووي رحمه الله إلى بابٍ في اليقين والتوكل على الله سبحانه وتعالى.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

٧- باب في اليقين والتَّوكُّل

أفرد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب لبيان عملين عظيمين من أعمال القلوب: اليقينِ والتَّوكُّل.

واليقين: هو قوَّة الإيمان في القلب، وانتفاء الشَّكِّ والرَّيب عنه، بحيث يكون الإيمان راسخًا وثابتًا في القلب، لا شكَّ فيه ولا ريب، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]، أي: أيقنوا ولم يشكُّوا، فاليقين: هو زوال الشَّكِّ عن القلب، والثَّبات على الحقِّ، وألَّا يكونَ فيه أدنى شكٍّ أو ريبٍ.

والتَّوكُّل: هو اعتماد العبد على ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتفويض أموره كلِّها إليه في ظاهر أمره وباطنه، في جلب المنافع ودفع المضارِّ، والتَّوكُّل من ثمرات اليقين، فمتى كان العبد على يقين بالله وقوَّة إيمان، أثمر ذلك قوَّة التَّوكُّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جميع أموره وشؤونه. وكلَّما كان العبد حسن الظَّنِّ بالله حسن الرَّجاء له صادق التَّوكُّل عليه؛ فإنَّ الله لا يُخَيِّب أمله فيه البتة؛ فإنَّه سبحانه لا يُخَيِّبُ أمل آمل ولا يُضِيْعُ عمل عامل.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واليقين قرين التَّوكُّل ولهذا فُسِّر التَّوكُّل بقُوَّة اليقين، والصَّواب: أنَّ التَّوكُّل ثمرته ونتيجته»(١).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

هذا مثالٌ عالٍ ورفيعٌ في تحقيق اليقين بالله وبوعده، وبلوغ عالي درجاته ، يُبَيِّن لنا الحالَ العظيمة الَّتِي كان عليها الصَّحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأنَّهم مهما اشتدَّت بهم الخطوب، وعظمت الكروب، وتكالب عليهم الأعداء، فهم على يقين بالله، أن ينصر دينه، وأن يحفظ أولياءه، وأن يدافع عنهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحجُّ:٣٨].

ولنتأمَّل في هذا الموقف العصيب، الَّذِي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ والمراد بالأحزاب: أي: الطَّوائف الكافرة المشركة المحاربة لله ولرسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الَّذِين تكالبوا وتجمَّعوا من الجهات المختلفة، وجاءوا إلى المدينة، وكان عددُهم عشرةَ آلاف بالعُدَّة والعتاد والخيل، فحاصروا المؤمنين في المدينة بغية القضاء عليهم، فالَّذِي ينظر إلى العدد القليل في المدينة، مقارنةً بهذا العدد الكبير من العَدُوِّ الَّذِي حاصرهم، إضافةً إلى تواطؤ اليهود معهم، وكان اليهود في جهة الجنوب من المدينة، والمشركون جاءوا من جهة الشَّمال، فكان أمرًا عصيبًا، وموقفًا شديدًا، وفي ذلك يقول الله: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١١].

و انقسم النَّاس في ذلك الموقف إلى قسمين:

١- القسم الأوَّل: أهل الشَّكِّ، وقد ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]، فهذا هو انعدام اليقين والثِّقةِ بالله؛ فإنَّ الله وعد المؤمنين -ولا يخلف وعده- بالنَّصر والعِزِّ والتَّمكين والقُوَّة، وهؤلاء لمَّا

(١) انظر: مدارج السَّالكين لابن القيِّم (٣/ ١٧١).

عاينوا هذا الأمر العصيب، قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾، أي: أنَّنا في موطن لا يكون لنا فيه إلَّا الهلاك، فهذا فيه ذهاب اليقين، وهي عادة المنافقين ومَن في قلوبهم مرض عند الشَّدائد والمحن، لا يثبت إيمانهم، وينكشف معدنهم معدنُ السُّوء.

٢- **والقسم الثَّاني: أهل اليقين**، وهم الَّذِين ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الآية الكريمة الَّتِي أوردها المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي قوله الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وهذا موضع الشَّاهد: أي: أنَّهم على يقين بوعد الله، بنصر المؤمنين، وإعلاء دينه، والدِّفاع عن أوليائه، قالوا: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فكانوا على يقين وثبات، وثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا كانت الثَّمرة: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ أي: لم يزدهم ذلك الموقف إلَّا إيمانًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتسليمًا لأمره وحكمه جَلَّ وَعَلَا.

فهذا مثال عظيم يُبيِّن لنا تحقيقَ اليقين بالله، والثِّقةِ به، وحسنَ التَّوكُّل عليه، وتفويضَ الأمور إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران، فيها أيضًا بيان لحال الصَّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم في باب اليقين، والثِّقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والآية نزلت لبيان قوَّة إيمانهم، وثبات قلوبهم، وقوَّة صلتهم بربِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد نزلت بعد أن حصل ما حصل للصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من شدَّة وكرب في غزوة أحد، وأصابهم القرح أي الجراح والإثخان.

فلمَّا كانوا في صبيحة اليوم الذي يليه، ندب النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصَّحابة وحثَّهم على النُّهوض في طلب العَدُوِّ لإرهابهم، وهذه تُعرَف في كتب السِّيَر بغزوة: حمراء الأسد، وكانت في اليوم الَّذِي يلي يوم أحد، فأمرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالنُّهوض، وألَّا يخرج معه إلَّا مَن شهد أحدًا، فلم يخرج معه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلَّا مَن شهد أحدًا، ولم يأذن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأحدٍ لم

يشهد أحداً بالخروج إلَّا جابر بن عبد الله، كان أبوه استخلفه في بناته، وقتل أبوه يوم أحد، فأذن له النَّبِيُّ ﷺ أن يخرج معهم.

فنهض المسلمون مباشرة كما أمرهم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهم مثخنون بالجراح، حتَّى بلغوا حمراء الأسد، وحمراء الأسد: جبل أحمر اللَّون جنوب المدينة من جهة مكَّة، بعد ذي الحليفة -ميقات أهل المدينة- بعشرين كيلومترًا تقريبًا، فكانت تعدُّ غزوة، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢]، أي: مع هذه الشِّدَّة والبلاء والإثخان، والموقف العصيب الَّذِي هم فيه، لم يتردَّدوا في الاستجابة لله والرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد جاءهم الخبر أنَّ أبا سفيان كان عزم على الكرَّة، وجمع لهم النَّاس، فلم يبال النَّبِيُّ ﷺ ولا الصَّحابة بذلك، بل خرجوا في أثر المشركين، واستجابوا لله وللرَّسول من بعد ما أصابهم القرح، ووصفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: المشركون قد جمعوا لكم بقصد استئصالكم والقضاء عليكم، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ أي: خافوا منهم، فلم يبالوا بذلك ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: الله كافينا، ونحن متوكِّلون عليه، ومفوِّضون أمورنا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنِعْم المتَوكَّل عليه، ونِعْم مَن تفوَّض الأمور إليه سبحانه.

فبلغ المشركين خروجُ المسلمين في أثرهم، وأدخل الله الرُّعب في قلوبهم فخافوا ورجعوا إلى مكَّة، وكفى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المؤمنين القتال، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

وهكذا؛ مَن كان على اليقين، والثِّقة بالله، والتَّوكُّل عليه، لا تكون له إلَّا العاقبةُ الحميدة، وسيأتي عند المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذكر بعض الأمثلة على ذلك من السنة النبوية.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وهذه الآية فيها الأمر بالتَّوكُّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذُكر في الآية وصف الله بالحياة، وأنَّه عَزَّوَجَلَّ الحَيُّ الَّذِي لا يموت، وأنَّ التَّوكُّل يجب أن يكون على الموصوف بهذا الوصف وحده دون سواه، فالله وحده هو الحيُّ الَّذِي لا يموت، وقد قال الله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمن:٢٦-٢٧].

فالتَّوكُّل لا يكون إلَّا على الحيِّ الَّذِي لا يموت، وهو الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **أمَّا ما سوى الله فلا يخرجون في هذا الباب عن أمورٍ ثلاثة:**

١- إمَّا حيٌّ سيموت.

٢- أو حيٌّ قد مات.

٣- أو جمادٌ لا حياة له.

وهذه الأقسام الثَّلاثة ليس شيءٌ منها مستحقًّا للتَّوكُّل، فالتَّوكُّل لا يكون إلَّا على الحيِّ الَّذِي لا يموت، وأمَّا الحيُّ الَّذِي سيموت، والحيُّ الَّذِي قد مات، والجماد الَّذِي لا حياة له؛ فكُلُّ هؤلاء لا يُتوكَّل عليهم، وإنَّما يكون التَّوكُّل على الحيِّ الَّذِي لا يموت، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذه آية عظيمة في هذا الباب، وحسن التَّأمُّل فيها ينفع العبد في صلاح عقيدته، وصلاح توكُّله على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولمَّا مات نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خطب الصِّدِّيق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطبته المشهورة، الَّتِي قال فيها: «مَن كان يعبد محمَّدًا فإنَّ محمَّدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت»، فالتَّوكُّل على الحيِّ الَّذِي لا يموت، والعبادة كلُّها للحيِّ الَّذِي لا يموت، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ربُّ العالمين.

وفي آية الكرسي يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]: فـ: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الَّذِي لا يموت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، هو الَّذِي يُتوكَّل عليه، وهو الَّذِي يُعبد، وهو الَّذِي يُلْتَجأ إليه، وهو الَّذِي تُصْرَف له جميع أنواع العبادة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٢٢].

وهذه الآية فيها بيان عظيم شأن التَّوكُّل، وأنَّه من موجبات الإيمان ومقتضياته، وأنَّ المؤمن كُلَّما قوي إيمانه؛ قوي توكُّلُه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتجاؤه إليه وحده عَزَّوَجَلَّ، ولهذا قال في الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي: عليه وحده دون مَن سواه، بتقديم المعمول على عامله، وهذا من أساليب الحصر في لغة العرب، أي: عليه وحده يُتَوَكَّل دون أن يُجعل معه شريك.

ومَن كان مُتَوَكِّلًا على الله وحده، فهو موحِّدٌ في تَوَكُّله واستعانته، وسيحصِّل مقصوده؛ لأنَّ الله كافٍ مَن تَوَكَّل عليه، ومعينٌ لمَن استنصر به، وأمَّا مَن لم يتوَكَّل على الله وحده، وجعل معه الشَّريك، فإنَّه لا يحصِّل شيئًا، ولا يكون ذلك بنافعٍ له، بل يُوكل إلى ما تَوَكَّل عليه من مخلوقاتٍ ضعيفةٍ، لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن أن تملك شيئًا من ذلك لغيرها.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

والآيات في الأمر بالتوكل كثيرةٌ معلومة.

وهذه الآية فيها الأمر بالتَّوكُّل على الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا عزم المرء على أمرٍ من الأمور بعد أن فكَّر واستشار، فليتوكَّل على الله، ليكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عونَه وموفِّقه ومسدِّده.

فقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾ أي: بعد الاستشارة والتَّأمُّل على أمرٍ من الأمور ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: اعتمد في فعل ذلك الأمر عليه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكن مُتبرِّئًا من حولك وقوَّتك، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، ثم ختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فهو سبحانه يُحِبُّ المُتَوَكِّلين عليه، ويعينهم، ويسدِّدهم في أمورهم، ويوفِّقهم في شؤونهم جلَّ في علاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق:٣]. أي: كافيه.

أي: مَن يعتمد على الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في جلب المنافع ودفع المضارِّ؛ ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه، والحسب: الكافي، فالله عَزَّوَجَلَّ كافٍ مَن توكَّل عليه، وقد تقدَّم قوله: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: الله كافينا ، فالَّذِي يتوكَّل على الله وحده، ويلتجئ إليه وحده؛ يكفيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كلما أهمَّه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمر:٣٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

وهذه الآية فيها بيان فضل التَّوكُّل، وأنَّه صفة المؤمنين الكُمَّل، الَّذِين كمَّلوا إيمانهم؛ لأنَّ الله ختم هذا السِّياق بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤]، فالمؤمنون حقًّا الَّذِين كمَّلوا إيمانهم، من صفاتهم: أنَّهم لا يتوكَّلون إلَّا على الله ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وأيضًا هذا الأسلوب من أساليب الحصر، كما سبق بيان ذلك.

فالتَّوكُّل على الله وحده هو صفة المؤمنين الَّذِين لهم الدَّرجاتُ العالية، ومغفرةُ الذُّنوب، ورفعة الدَّرجات يوم لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: (والآيات في فضل التَّوكُّل كثيرةٌ معروفةٌ).

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد ذُكِر التَّوكُّل في القرآن فيما يقرب من السَّبعين آية.

وأختم الكلام على هذه الآيات بذكر خلاصة في حقيقة التَّوكُّل و أقسام النَّاس فيه:

فحقيقة التَّوكُّل: هو عمل القلب وعبوديَّته اعتمادًا على الله، وثقةً به، والتجاءً إليه، وتفويضًا إليه، ورضًى بما يقضيه لعبده، لعلمه بكفايته سبحانه، وحسن اختياره لعبده، إذا فوَّض إليه أموره، مع قيامه بالأسباب المأمور بها، واجتهاده في تحصيلها.

فهذه هي حقيقة التَّوكُّل: اعتمادٌ على الله وحده لا شريك له، مع فعل الأسباب المأمور بها، والقيام بها، دون تعدٍّ إلى فعل سببٍ غير مأمورٍ به، أو سلوك طريقٍ غير مشروع.

والنَّاس في هذا الباب منقسمون إلى طرفين ووسط:

فأحد الطَّرفين: عطَّل الأسباب محافظةً على التَّوكُّل.

والطَّرف الثَّاني: عطَّل التَّوكُّل محافظةً على الأسباب.

والوسط: علم أنَّ حقيقة التَّوكُّل لا تتمُّ إلَّا بالقيام بالسَّبب، فتوكَّل على الله في نفس السَّبب.

وقد جُمع بين هذين الأصلين في نصوص كثيرة:

منها: قوله ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[٢]، ففي قوله: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»: أمرٌ بكُلِّ سبب دينيٍّ ودنيويٍّ، وفي قوله: «**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»: اعتمادٌ على الله، وتفويضٌ للأمور إليه وحده سبحانه وتعالى.

هذا ونسأل الله أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يصلح لنا شأننا كله؛ إنه سميع قريب مجيب. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).